Adab Al-Rafidain, Vol. 54, No. 98, 2024 (09-01)



Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com



Military relations between the Andalusians and the Franks during the reign of Prince Al-Hakam Rabadi (180-206 AH/796-822 AD)

Amer Ahmad Al-Qobbaj
Assoc. Prof. / Department of History / Faculty of Humanities and Educational Sciences / An-Najah National University / Nablus - Palestine

Mohammad O. Al-Khateeb
Assoc. Prof. / Department of History / Faculty of Humanities and Educational Sciences / An-Najah National University / Nablus - Palestine

Article Information

Article History:
Received April7, 2023
Reviewer April 18 .2023
Accepted April 28, 2023
Available Online Septemper1, 2024

Keywords:
Al-Andalus,
Prince Al-Hakam Al-Rabadi,
Charlemagne,
Military relations.

Correspondence:
Amer Ahmad Al-Qobbaj
amer.qobbaj@najah.edu

Abstract

This research aims to study the military relations between the Andalusians and the Frankish kingdom during the reign of the Umayyad prince Al-Hakam Al-Rabadi (180-206 AH/796-821 AD), relying on the descriptive and analytical historical approach. It first touched on the ambitions of the Franks in the Andalusian lands during the reign of Prince Hisham Al-Rida (172-180 AH / 788-796 AD) and his efforts to confront them. Then it discussed the Frankish King Charlemagne's (151-198 AH/768-814 AD) exploitation of Prince Al-Hakam's preoccupation with confronting internal rebellions, so he allied with the rebel leaders with the aim of attacking the northern Andalusian cities. The research reviewed the military campaigns launched by Al-Hakam against the Franks, most of which his armies achieved victory. The fall of Barcelona into the hands of the Franks in 185 AH/801 AD, and Al-Hakam's inability to save it, was considered the most dangerous event during his reign, as it became a launching pad for them to attack other Andalusian cities, especially Tortosa. Although his military campaigns failed to bring about permanent geopolitical changes, they succeeded in standing up to the Frankish attempts to expand in the lands south of Barcelona, and they also contributed to saving some cities from final collapse, such as Tudela in 187 AH/803 AD, and Tarragona and Girona in 195 AH/811 AD.

DOI: 10.33899/radab.2024.148654.2119, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.

العلاقات الحربيَّة بين الأندلسيّين والفرنجة في عهد الأمير الحكم الربضي (180-206هـ/796-822م)

عامر أحمد القبَّج[1]　　　محمد عثمان الخطيب**

المستخلص:

يهدفُ هذا البحث إلى دراسة العلاقات الحربيَّة بين الأندلسيّين ومملكة الفرنجة في عهد الأمير الأمويّ الحكم الربضيّ (180-206هـ/796-821م)، بالاعتماد على المنهج التاريخيّ الوصفيّ والتَّحليليّ. فتطرَّق أوَّلاً إلى أطماع الفرنجة في الأراضي الأندلسيَّة في عهد الأمير هشام الرِّضا (172-180هـ/788-796م) وجهوده في التَّصدّي لها. ثمَّ تناول استغلال الملك الفرنجيّ شارلمان (151-198هـ/768-

[1] استاذ مشارك /قسم التاريخ /كلية العلوم الانسانية والتربوية/ جامعة النجاح الوطنية /نابلس –فلسطين
** استاذ مشارك / قسم التاريخ /كلية العلوم الانسانية والتربوية/ جامعة النجاح الوطنية /نابلس –فلسطين

814م) لانشغال الأمير الحكم في مواجهة التَّمرُّدات الدّاخليَّة، وقيامِه بالتَّحالف مع قادة المتمرِّدين بهدف مهاجمة المدن الأندلسيَّة الشَّماليَّة. واستعرض البحثُ الحملات العسكريَّة التي جرَّدها الحكم ضدَّ الفرنجة، والتي حقَّقت جيوشُه النَّصرَ في معظمها. وعُدَّ سقوطُ برشلونة بيد الفرنجة عام 185هـ/801م وعجْز الحكَم عن إنقاذها، الحدثَ الأخطر في عهده، إذ أصبحتْ تمثِّل قاعدة انطلاق لهم من أجل مهاجمة المدن الأندلسيَّة الأخرى، وبخاصَّةٍ طُرطوشة. وعلى الرَّغم من إخفاق حملاته العسكريَّة في إحداث تغييرات جيوسياسيَّة دائمة، إلا أنَّها نجحت في الوقوف في وجه محاولات الفرنجة التَّوسُّع في الأراضي الواقعة جنوبيّ برشلونة، كما ساهمت في إنقاذ بعض المدن من السُّقوط النِّهائي، كتطيلة عام 187هـ/803م، وطرَّكونة وجيرونة عام 195هـ/811م.

الكلمات المفتاحيَّة: الأندلس، الحكم الربضيّ، شارلمان، العلاقات الحربيَّة.

المقدِّمة

تختصُّ هذه الدِّراسة بتناوُل العلاقات الحربيَّة بين الأندلسيّين والفرنجة في عهد الأمير الأمويِّ الحكم الربضي (180-206هـ/796-822م). وكانت سيرتُه وعلاقاتُه مع مختلف القوى المسيحيَّة في الأندلس قد حظيت بنصيبٍ وافرٍ في المصادر والمؤلَّفات التّاريخيَّة، وأفادت الدِّراسة منها، إلا أنَّ أيّاً من الأبحاث الحديثة، العربيَّة والأجنبيَّة، لم يطرُق باب العلاقات الحربيَّة الأندلسيَّة مع الفرنجة، على وجه التَّحديد، في عهد الأمير المذكور. ومن هنا تبرُزُ أهميَّة موضوع هذه الدِّراسة، الذي هدف إلى تسليط الضَّوْء على: استنجاد الثّائرين على الإمارة بالفرنجة ودعوتهم للسَّيطرة على المدن الأندلسيَّة الشَّماليَّة، وأسباب الأطماع الفرنجيَّة فيها، ودوافع السَّيطرة على مدينة برشلونة، وأحداثها ونتائجها على الصَّعيدين الأندلسيّ والفرنجيّ، والمحاولات الأندلسيَّة لاستردادها، كما هدفت الدِّراسةُ إلى تناوُل الأطماع الفرنجيَّة في مدينتيّ طُرطوشة وتُطيلة، والحملات التي جرَّدها الأميرُ الحكم من أجل مواجهة السِّياسة التَّوسُّعيَّة الفرنجيَّة في الأراضي الأندلسيَّة الشَّماليَّة، ونتائجها الميدانيَّة. وسلكَت الدِّراسةُ المنهجَ التاريخيّ الوصفيّ والتَّحليليّ، بالاعتماد على أدواته المختلفة، بناءً على ما ورد في المصادر والمراجع العربيَّة والأجنبيَّة، لعلَّها تُسهم في سدِّ بعض جوانب النَّقص في المؤلَّفات الحديثة.

تمهيد

بدأ الصِّراعُ الإسلاميُّ المسيحيُّ في الأندلس منذ وطِئت أقدام المسلمين أرضها في نهاية القرن الأوَّل الهجريّ/السّابع الميلاديّ، واشتدَّت وتيرتُه بعد تأسيس مملكة أستورياس (*Asturias*) في النَّواحي الشَّماليَّة الغربيَّة، على يد القوط الغربيّين، الذي استغلّوا انشغال الأمير عبد الرَّحمن الدّاخل (138-172هـ/755-788م)[1] بالتَّصدّي للفتن الدّاخليَّة؛ فتمكَّنوا من السَّيطرة على عديدٍ من المدن الأندلسيَّة، ما أدّى إلى توسُّع مملكتهم؛ فأصبحت تتكوَّن من: ألبة والقلاع (*Castilla la Viega y Alava*)[2]، ولاريوخا (*La Rioja*) إلى الشَّمال الشَّرقيّ من سرقسطة (*Zaragoza*)[3]، فضلاً كانتبريّا[4] وغاليسيا (*Galicia*)[5]. وشكَّل نهر دُويرة[6] حدّاً طبيعيّاً جنوبيّاً بين مناطق النُّفوذ الإسلاميَّة والإسبانيَّة[7]. وكانت منطقةُ الشَّمال الأندلسيّ بشكلٍ عام، والثَّغر الأعلى[8] على وجه الخصوص، تمثِّل المسرح الأساس للصِّراع، الذي

---

[1] **عبد الرَّحمن الدّاخل**: ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، صقر قريش، مؤسِّس الإمارة الأمويَّة في الأندلس عام 138هـ/755م، بعد التَّخلص من آخر وُلاتها: يوسف الفهريّ، وبقي على رأس إمارته حتّى وفاته عام 172هـ/788م. للتَّفاصيل يُنظَر: **ابن الأبّار**، محمَّد بن عبدالله (ت. 658هـ/1260م): **الحلَّة السِّيراء**، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1985: 1/(35-42).

[2] **ألبة والقلاع**: تقعُ بين بلاد البشكنس (*Vascos*) وجبال كانتبريّا (*Cantabria*)، على ضفاف نهر إبرو (*Ebro*) في الطَّرف الشَّرقي من مملكة أستورياس، وكلمة ألبة أصلها ألابا (*Alava*)، من اللاتينيَّة، وهي إحدى ولايات بلاد البشكنس، وتمتدُّ غرباً حتّى برغش (*Burgos*) وشمالاً حتّى خليج الباسك (*Golfo de Vizcaya*). وأمّا القلاع أو قشتالة (*Castilla*) القديمة فتقع إلى الغرب من ألبة، واشتملت على المنطقة الواقعة من برغش (*Burgos*) شمالاً إلى ما بعد نهر دويرة (*Duero*) جنوباً، وتكثُر فيها القلاع. يُنظَر: **بروفنسال**، ليفي، **تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبيَّة(711-1031م)**، ترجمة: إميليو جومث وعلي اليحيى وعلي منوفي، ط3، المجلس الأعلى للثَّقافة، مدريد، 2000: 163؛ **عنان**، محمد عبد الله: **دولة الإسلام في الأندلس**، العصر الأوَّل، القسم الأوَّل، من الفتح إلى بداية عهد النّاصر، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977: 1/217.

[3] **سرقسطة**: المدينة البيضاء، تقع في شمال شرق الأندلس، على ضفة نهر إبرو، لها أسوارٌ قديمةٌ من الرُّخام، كثيرة الفواكه والبساتين. يُنظَر: **الحميَري**، محمَّد بن عبد المنعم (ت. 900هـ/1495م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط2، مكتبة لبنان، 1984: 317.

[4] **كانتبريّا**: منطقة جبليَّة تقع بين جبال البشكنس وجبال غاليسيا، وتصل حوافُّها إلى بحر كانتبريّا، ومنها ينبُع نهرا إبرو ودويرة، وتشرفُ على الأطلسي، وهناك يُطلق على السّاحل: بحر كانتبريّا. يُنظَر: **حتاملة**، محمَّد عبده: **إيبيريا قبل مجيء العرب المسلمين**، وزارة الثَّقافة، عمان، 1996: 36.

[5] **غاليسيا**: تقع في أقصى شمال غرب البلاد، بين أورتيجال (*Ortegal*) وفنستيري (*Finisterre*)، وتتَّجه اتِّجاهاً شماليّاً جنوبيّاً حتّى رأس بثنت (*Vicent*)، وتشتمل على جبالٍ شاهقةٍ وأوديةٍ وخلجانٍ عميقة. يُنظَر: حتاملة: 55.

[6] **نهر دويرة**: يسمّيه العرب الوادي الجوفيّ، ويقع في الشَّمال الشَّرقي من جبال الكنتبريك (*Cantabric*) في الشَّرق، والسِّلسلة الوُسطى في الجنوب، ويصبُّ في المحيط الأطلسيّ بالقربِ من برتقال (*Porto*). يُنظَر: حتاملة: 85.

[7] للتَّفاصيل؛ يُنظَر: عنان: 1/70، (208-218)؛ **عبد الحليم**، رجب محمَّد: **العلاقات بين الأندلس الإسلاميَّة وإسبانيا النَّصرانيَّة في عصر بني أميَّة وملوك الطَّوائف**، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، (د. ط) القاهرة، بيروت، (د. ت): (34-41). يُنظَر أيضاً:

O'Callaghan, J.: **A History of Medieval Spain**, Cornell University Press, Ithaca and London, 1975: 100; **Mariana**, J.: **Historia General de Espana**, Don Benito Cano, Madrid, 1794: II\294.

[8] **الثَّغر الأعلى**: يمثِّل في الجغرافيا الأندلسيَّة ولاية الحدود الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، يشمل: سرقسطة وهي قاعدته، برشلونة (*Barcelona*) ولاردة وتُطيلة (*Todela*) وطرسونة (*Tarazona*) ووشقة (*Huesca*) وسالم (*Medinaceli*) وقلعة أيّوب (*Calatayud*)؛ يُنظَر: **المقَّري**، أحمد بن محمَّد(ت.

استمرَّ بين الطَّرفين في هذه النَّواحي حتّى سقوط مدينة سرقسطة؛ عاصمة الثَّغر المذكور عام 512هـ/1118م، ثمَّ طُرطوشة (*Tortosa*)[(1)] ولاردة (*Lerida*)[(2)] بين العامين 543-544هـ/1148-1149م[(3)].

وأدى وجودُ مملكة الفرنجة على الحدود الشَّماليَّة من الثَّغر الأعلى دوراً كبيراً في تشكيل معالمه السِّياسيَّة؛ فقد أدرك الفرنجةُ أنَّ هزيمة الأندلسيّين في معركة بلاط الشُّهداء (*Pataille de Poitiers*) عام114هـ/732م[(4)] لم توقِف حملاتهم فيما وراء جبال ألبرت (*Pyrenees*) في المراحل اللاحقة، لا بل تمكَّنوا من السَّيطرة على بعض مدن إقليم سبتمانيا (*Septimanie*) الواقع جنوبيّ المملكة الفرنجيَّة، كأُربونة (*Narbonne*)[(5)]، التي بقيت أربعين عاماً تحت حكمهم[(6)]. ثم ازدادت مخاوف الفرنجة حيال نجاح الأندلسيّين في العبور غيرَ مرَّة إلى أراضي سبتمانيا[(7)].

ومثَّل صعود شارلمان (*Charlemagne*) (151-198هـ/768-814م)[(8)] إلى سدَّة الحكم تحوُّلاً مهمّاً في السِّياسة الخارجيَّة الفرنجيَّة تجاه الشَّمال الأندلسيّ. وفضلاً عن رغبته في التَّوسُّع والسَّيطرة على حوض نهر إبرو[(9)]، فقد سعى إلى حماية بلاده من الخطر الإسلاميّ، مدفوعاً بدوافع دينيَّة صليبيَّة؛ إذْ إنَّها لو لم تكنْ موجودة ضمن أجندته التَّوسعيَّة، لما منحتهُ البابويَّة لقب امبراطور الامبراطوريَّة الرّومانيَّة المقدَّسة عام184هـ/800م[(10)]. ومن أجل ذلك كلِّه، صار يتحيَّن الفُرص كلَّما اضطربت الأوضاع الدّاخليَّة في الأندلس من أجل مهاجمة أراضي الثَّغر الأعلى؛ ففي عام 161هـ/778م خرج على رأس جيشه بهدف السَّيطرة على مدينة سرقسطة، ولكنَّه فشل، وفي أثناء عبور جيشه جبال ألبرت في رحلة العودة تعرَّض لنكبة مروِّعة، في معركة ممرّ رونسڤال (*Bataille de Roncevaux*)، بعد أن قام الأندلسيّون بمهاجمته، وقتْل أعدادٍ كبيرةٍ من قادته وجنوده[(11)].

وبدلاً من أن تؤدّي هذه الهزيمة إلى كبح جماح شارلمان، فقد حرَّكت لديه دوافع الانتقام تجاه الأندلسيّين، فقد قام جيشُه عام 168هـ/785م بالسَّيطرة على مدينة جيرونة (*Girona*)، الواقعة على بعد ستّين ميلاً إلى الشَّمال الشَّرقيّ من مدينة برشلونة، فضلاً عن مدينة أورجل (*Urgel*)، شمال غرب برشلونة عام 173هـ/789م[(12)]. وفي العام التَّالي عقد حاكم أقيطانية (*Aquitaine*) لويس التَّقيّ بن شارلمان (*Louis le Pieux*)(ت. 225هـ/840م)[(13)] في مدينة طولوشة (*Toulouse*) الفرنجيَّة ميثاقَ حلْفٍ وصداقةٍ مع أبي ثور بن قسيّ[(14)]، حاكم مدينة وشقة[(1)]؛ من أجل السَّيطرة على مزيدٍ من المدن الأندلسيَّة[(2)].

1041هـ/1632م): **نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب،** 8أجزاء، (د. ط)، دار صادر، بيروت، 1988: 166/1. يُنظَر أيضاً: **السّامرّائي،** خليل إبراهيم: **الثَّغر الأعلى الأندلسي، دراسة في أحواله السِّياسيَّة،** مطبعة أسعد، بغداد، 1976: 39.

[(1)] **طُرطوشة**: مدينة ساحليَّة تتَّصل بكورة بلنسية (*Valencia*)، وتشتهر بالتِّجارة. يُنظَر: **الحموي،** ياقوت بن عبد الله (ت. 626هـ/1229م): **معجم البلدان،** 5أجزاء، دار صادر، (د. ط) بيروت، 1977: 30/4.

[(2)] **لاردة**: تقع شرقي وشقة، وتتَّصل أعمالها بأعمال طرَّكونة (*Tarragona*)، ويُنسب إليها عديدٌ من الحصون، وتشتهر ببساتينها وبكثرة الكتّان؛ يُنظَر: الحموي: 7/5؛ الحِميَري: 507.

[(3)] **مؤنس،** حسين: **معالم تاريخ المغرب والأندلس،** دار الرَّشاد، ط5، القاهرة، 2000: 433.

[(4)] للاطِّلاع على تفاصيل معركة بلاط الشُّهداء؛ يُنظَر: عنان: 1/(92-111).

[(5)] **أربونة**: تقع في طرف الثَّغر الأعلى الأندلسيّ، وبينها وبين قرطبة (*Cordoba*) ألف ميل؛ يُنظَر: الحموي: 140/1.

[(6)] O'Callagan: 98.

[(7)] عنان: 233/1.

[(8)] **شارلمان**: ابن بيبن القصير (*Pepin le Bref*) (133-151هـ/751-768م)؛ مؤسِّس البيت الكارولنجيّ الحاكم. وكان بيبن قد قسَّم المملكة بين ولديه شارلمان وكارلومان (*Carloman*) (ت. 154هـ/771م)، وبعد موتِ أبيه عام 151هـ/768م اعتلى شارلمان العرش، فاندلعت حربٌ أهليَّةٌ بينهما، ولم يُحسَم الأمرُ لصالح شارمان إلا بعد ثلاثة أعوام، فوطَّد أركان حكمه، ووسَّع مملكته ونشر المسيحيَّة بين الشُّعوب الوثنيَّة، وحارب الأندلسيّين وقبائل البرابرة الجرمان عند حدود بلاده، ومنحته البابويَّة لقب امبراطور الامبراطوريَّة الرّومانيَّة المقدَّسة عام 184هـ/800م، وتوفِّي عام 198هـ/814م. يُنظَر: **الشَّيخ،** محمَّد مرسي: **دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويّين في الأندلس،** مؤسَّسة الثَّقافة الجامعيَّة، (د. ط)، الإسكندريَّة، 1981: (20-21).

[(9)] **نهر إبرو**: إيبره. يُسمّى عند العرب بالنَّهر الكبير، وينبع من جبال البشكنس وجبال قطلونية (*Cataluna*)، ويصبُّ عند سرقسطة وطرطوشة وطرَّكونة على البحر المتوسِّط. يُنظَر: حتاملة: 91، 95.

[(10)] الشَّيخ: 21.

[(11)] عنان: 233/1.

[(12)] **مجهول: تاريخ الأندلس،** تحقيق: عبد القادر بوباية، ط1، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2007: 172؛ **ابن الأثير،** علي بن محمَّد الجزري(630هـ/1233م): **الكامل في التّاريخ،** (ج5)، دار الكتب العلميَّة، ط1، بيروت، 1987: 297/5؛ الشَّيخ: (160-161)؛ بروفنسال: 132.

[(13)] **لويس التَّقي،** ابن شارلمان، حاكم أقيطانية، توَّجهُ أبوه وليّاً للعهد عام 197هـ/813م، ثم اعتلى العرشَ بعد وفاته في العام التّالي باسم لويس الأوَّل، وكان حينذاك في السّادسة والثَّلاثين من عمره، تميَّز بأنَّه كان واسعَ الثَّقافة، عظيم التَّديُّن، ولهذا رفع من شان الكنيسة، إلا أنَّه تخلَّص من الهيمنة الدّينيَّة والسياسيَّة لروما على شئون دولته، وتوفِّي عام 237هـ/852م. يُنظَر: الشَّيخ: (23-28).

[(14)] **أبو ثور بن قسي**: من حكّام الثَّغر الأعلى، الذين ينحدرون من أصول قوطيَّة مسيحيَّة، ولّاه الدّاخل على وشقة، ثم أعلن تمرُّده عليه، وكان ممَّن ناصروا شارلمان في حملته على الأندلس عام161هـ/778م؛ يُنظَر: **أبو مصطفى،** كمال: **المولَّدون في منطقة الثَّغر الأعلى الأندلسي ودورهم السِّياسي في عصر الإمارة الأمويَّة (138-316هـ/756-928م)،** بحوث في تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، مركز الإسكندريَّة للكتاب، الإسكندريَّة، 1997: (47-48). **بنو قسيّ**: ينحدرون من جدِّهم الأعلى، قَسيّ، الذي كان حاكماً على الثَّغر الشَّماليّ الشَّرقيّ في أيّام القوط، واتَّخذ حينذاك من تُطيلة مركزاً له. أسلم على يد الخليفة الأمويِّ الوليد بن عبد الملك (85-95هـ/704-714م)، وحذا قومُه حذوه. تصاهر بنو قسيّ مع البشكنس، وثاروا على الدَّولة في عهد الحكم. يُنظَر: السّامرّائي: 289، (300-301).

وبسبب ازدياد الأطماع الفرنجيَّة، فقد حرص الأمراء الأندلسيّون على تجريد الحملات باستمرار بهدف الدِّفاع عن مدنهم ومعاقلهم وأراضيهم، ومحاولة استعادة ما فُقد منهما. وممَّن نشطوا في ذلك، قُبيْل عهد الأمير الحكم؛ أبوهُ الأميرُ هشام الرّضا بن عبد الرَّحمن الدّاخل (172-180هـ/788-796م). ومن أهمِّ حملاته؛ تلك التي سيَّرها عام 177هـ/793م، بقيادة عبد الملك بن مغيث[3]، وتمكَّن فيها من استعادة مدينة جيرونة والسَّيطرة على عددٍ من الحصون القريبة، ثمَّ توغَّل في سبتمانيا ووصل إلى مدينة أُربونة، فأثخن في المدافعين عنها قتْلاً وأسْراً[4]، ثم ارتدَّ عنها لحصانتها، وبخاصَّةٍ أنَّها كانت مستودعاً لأسلحة الفرنجة، وإحدى أهمِّ قواعدهم[5]. وواصل زحفه غرباً حتّى وصل أرض شرطانية (*Cerdana*)[6]، فجاس خلالها شهوراً يخرّب الحصون ويحرق القرى[7]، وما أن اجتاز نهر أوربيو (*Orbieu*) حتّى وجد وليام دوق طولوشة (*Guillaume de Gellone*)(174-195هـ/790-811م) قد جمع قوّاته وهرع لقطْع الطَّريق عليه، فالتقى الطَّرفان بالقرب من قرية بييدين (*Villediagne*)، الواقعة إلى الشَّمال الغربيِّ من أُربونة، على الضِّفاف الغربيَّة من نهر أوربيو، وخاضا معركة استمرَّت لساعات، تكبَّدا فيها خسائر بشريَّة كبيرة، ثم دارت الدّائرة على القوّات الفرنجيَّة التي تكبَّدت هزيمة ساحقة، وبعد هذا النَّصر انسحب الجيشُ الأندلسيُّ جنوباً نحو جبال ألبرت محمَّلاً بالغنائم والأسرى[8].

وعُدَّ عهد الأمير هشام الرّضا من عهود القوّة في عصر الإمارة الأمويَّة في الأندلس، وفي نهايته كانت الحدود المسيحيَّة الإسلاميَّة تمتدُّ على طول الضِّفاف الجنوبيّة لنهر دُويرة، ثمَّ سلسلة جبال جوادراما (*Guadarrama*) التي تفصل بين حوضَي نهرَي دويرة والتّاج (*Tajo*)[9]، في الجهات الشَّماليَّة الغربيَّة والوسطى من البلاد، وتسير الحدود بالاتِّجاه الشَّماليِّ الشرقيِّ حتّى شمال سرقسطة، لتتاخم جبال ألبرت عند الحدود مع المملكة الفرنجيَّة، وهناك شكَّل نهر إبرو حدّاً طبيعيّاً منيعاً بين الأندلسيّين والمسيحيّين[10].

توفِّي الأميرُ هشام الرِّضا عام 180هـ/796م، وصلّى عليه ابنُه الحكم؛ الذي أخذ البيعة لنفسه من النّاس[11]. وكان الأخيرُ قد وُلِد بقرطبة عام 154هـ/771م، وأمُّه أمُّ ولدٍ تدعى زُخرُف، ويُكنّى بأبي العاص، ويُلقَّب بالمُرتضى والمظفَّر. وما أن اعتلى عرش الإمارة حتّى بدأت الأخطار الدّاخليَّة تعصِف بدولته؛ بسبب الثَّورات والتَّمرُّدات التي نشبت في عديدٍ من المدن الأندلسيَّة، كطليطلة[12] وماردة (*Merida*)[13] وبعض مدن الثَّغر الأعلى. ومن الثَّورات الدَّمويَّة التي شهدها عهدُه تلك التي حدثت في العاصمة قرطبة، بتحريضٍ من رجال الدّين والفُقهاء، وكادت تُطيح بعرشه لولا أن استخدم القوَّة والبطش، إذ نكب الثّائرين في وقعة الرَّبض عام 202هـ/818م[14]، ولهذا عُرف

---

(1) **وشقة**: أو أشقة، مدينة من أعمال بربطانية (*Barbitania*) في الثَّغر الأعلى، شمال شرق الأندلس، ذات حصون ومعاقل، وتقع على بعد 83 كم شمال شرق سرقسطة؛ يُنظَر: الحموي: 199/1.

(2) Gebhardt, V.: **Historia General de Espana y de Sus Indias**, Libreria Espanola, Madrid; Libreria del Plus Ultra, Barcelona, 1864: II\(389-390).

(3) **عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث**: أحد أهمّ رجال الدَّولة في عصر الإمارة، جمع الحِجابة والوزارة والكتابة وقيادة الجيوش، مع حُسن الأدب والعفاف والدّين والتَّواضع والكرم. يُنظَر: **النُّويري**، أحمد بن عبد الوهَّاب(733هـ/1333م): **نهاية الإرب في فنون الأدب**، 32جزء، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلميَّة، ط1، بيروت، 2004: 210/23.

(4) ابن الأثير: 297/5. يُنظَر أيضاً:
Gebhardt: II\(389-390); **Conde**, J.: **A History of the Dominion of the Arabs in Spain**, trans. Jonathan Foster, V. I, Goerge Bell, London, 1900: I\235.

(5) بروفنسال: 132؛ (Gebhardt: II\390).

(6) وقيل بربطانية، ورسمها النُّويري: برطانية؛ يُنظَر: النُّويري: 208/23، أمّا ابن خلدون فقال: أرض سلطانية؛ يُنظَر: **ابن خلدون**، عبد الرَّحمن بن محمَّد(ت808هـ/1406م): **تاريخ ابن خلدون**، 7أجزاء، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 2000: 160/4، وقيل: سرطانية؛ يُنظَر: مجهول، تاريخ: 172. وتُطلق بربطانية اليوم على مدينة بولتانيا (*Boltana*) شمال شرق مدينة وشقة، على السُّفوح الجنوبيَّة لجبال البرت؛ يُنظَر: **الحجّي**، عبد الرَّحمن: **التّاريخ الأندلسيّ من الفتح الإسلاميِّ حتّى سقوط غرناطة**، دار القلم، ط2، دمشق، بيروت، 1981: 249، وعلى الرَّغم من ذلك؛ يبدو أن أراضيها وفق المفهوم الإسلامي كانت تشمل المناطق الجنوبيَّة من إقليم سبتمانيا الفرنجي.

(7) ابن الأثير: 297/5.

(8) بروفنسال: 132؛ (Gebhardt: II\390-391).

(9) **نهر التّاج**: أو تاجُه، أطول أنهار الأندلس، ينبُع من مويلا دي سان خوان (*Muela de San Juan*)، ثم يعبر وادي الحجارة (*Guadalajara*)، ويخترق طليطلة (*Toledo*) وطلبيرة (*Talavera*)، ويصبُّ في خليجٍ بالقرب من مدينة أشبونة (*Lisbona*). يُنظَر: حتاملة: (85-86).

(10) **Lane-Poole**, S.: **The story of the Moors in Spain**, J. P. Putnam's Sons, New York, T. Fisher Unwin, London, 1898: 40.

(11) **ابن عذاري**، محمَّد بن محمَّد(ت695هـ/1296م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، تحقيق: ج. كولان وليفي بروفنسال، ط2، دار الثَّقافة، بيروت، 1980: 61/2، 65.

(12) **طليطلة**: تقع في وسط بلاد الأندلس على نهر التّاج، جنوب غرب مجريط (*Madrid*) ووادي الحجارة، وتبعد عن الأخيرة 65 ميلاً، وتشتهر بكثرة مزروعاتها وأشجارها. يُنظَر: الحميري: (393-394).

(13) **ماردة**: تقع غرب الأندلس، في إقليم بطليوس (*Badajoz*). فيها قنطرةٌ عظيمةٌ، ومن ماردة الى بطليوس عشرون ميلاً. يُنظَر: الحميري: (518-519).

(14) **وقعة الرَّبض**: حدثت عام 202هـ/818م، وجاءت على خلفيَّة الثَّورة التي قامت بها العامَّة ضدَّ الأمير الحكم، بذريعة انشغاله عن أمور الدَّولة بقضاء وقته مع جواريه، وفي الصَّيد. ورفع أهل الرَّبض القبليِّ السِّلاح، وحاصروا القصر، مدفوعين بتحريضٍ من الفقيه يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234هـ/849م) وغيره، فواجه الأمير ثورتهم بشدَّة، وأحرق منازلهم، وقتل زعماءهم. يُنظَر: النُّويري: 23/(217-218).

بالرَّبضي. ومن ناحيةٍ أخرى؛ كان الأميرُ أديباً وشاعراً مُجيداً، يهتمُّ بالعلم ويُكرِم العلماء، وحكم بلاد الأندلس لما يقرُب من سبعةٍ وعشرين عاماً، حتّى وفاته عام 206هـ/822م[1].

وعلى الرَّغم من الأحوال الدّاخليَّة الأندلسيَّة المضطربة في عهده، إلا أنَّه وضع الجهادَ ضدَّ مسيحيّي الشَّمال، على رأس أولويّاته، بهدف الوقوف في وجه سياستهم التَّوسُّعيَّة على حساب الأراضي الأندلسيَّة، ومحاولة استرداد المدن والحصون التي وقعت في قبضتهم، أو على الأقلّ، المحافظة على الوضع الحدوديِّ القائم. وأشادت المصادر التّاريخيَّة بمدى استعداده الدّائم للجهاد؛ ومن ذلك استكثاره الخيولَ اللازمة لهذا الأمر، فقد كان يحتفظ بشكلٍ دائمٍ بباب قصره بألفيّ فرس، تحت رعاية عشرةٍ من العُرفاء. وفضلاً عن ذلك، يُعدُّ الأميرُ الحكم أوَّل من أدخل المماليكَ المُرتزقةَ إلى الجيش الأندلسيّ، وبلغ عددُهم في عهده خمسة آلاف، وكانوا يُسمّون الخُرس لعجمة ألسنتهم، كما استكثر من الأسلحة والعتاد الحربيّ، وقاد الجيوشَ بنفسه غير مرَّة[2].

الحملات العسكريَّة الأندلسيَّة الفرنجيَّة المتبادلة في مطلع عهد الأمير الحكم الربضيّ (180-182هـ/796-798م)

شكَّل الثَّغرُ الأندلسيُّ الأعلى، وبخاصَّة مدينة سرقسطة، أرضاً خصبةً لعديدٍ من حركات التَّمرُّد ضدَّ الحكومة المركزيَّة في قرطبة، منذ أيّام الأمير عبد الرَّحمن الدّاخل. ولعلَّ أخطر ما ترتَّب على هذه الظّاهرة، التي نشطت في مطلع عهد الأمير الحكم، قيام زعماء التَّمرُّد بالاستنجاد بالقوى المسيحيَّة، وعلى رأسها الفرنجة، من أجل تقوية مراكزهم خارج نطاق الشَّرعيَّة السِّياسيَّة القرطبيَّة.

ففي عام 181هـ/797م، ثار أبو الحجّاج بهلول بن مرزوق (ت. 186هـ/802م)[3]، وبسط نفوذَه على المنطقة الواقعة من سرقسطة إلى طرطوشة[4]، ووجَّه الدَّعوة لشارلمان للسَّيطرة على الثَّغر الأعلى، في أثناء زيارته لمدينة طولوشة الفرنجيَّة[5]. وفي العام ذاته ثار عمّا الحكم عبد الله بن عبد الرَّحمن الدّاخل (ت. 208هـ/823م) وأخوه سليمان (ت. 184هـ/800م)[6] طمعاً في توليّ الحُكم بدلاً منه[7]. وكان عبد الله أشدَّهما خطراً؛ فقد دعا بهلولاً بن مرزوق الثّائر في مدينة وشقة للانضمام إليه، فرفض، وحينها توجَّه إلى شارلمان في مدينة آخن (*Aachen*) الفرنجيَّة، لطلب المساعدة ضدَّ الأمير الحكم[8]، كما حرَّض شارلمان على إرسال حملةٍ بهدف السَّيطرة على مدينة برشلونة[9]. وأبدى لافوينتي (*Lafuente*) استهجانه من موقف عبد الله قائلاً: "إلى هذا الحدّ، يُمكن أنْ يطغى الطَّمعُ في الحُكم على رابطة الدَّم والدّين !!"[10]، وعلى الرّغم من عدم الثِّقة التي كان الفرنجة يُكنّونها تجاه الخارجين على قرطبة، إلا أنَّ شارلمان وافق على مساعدة عبدَ الله والتَّعاون معه[11].

---

(1) للتَّفاصيل عن سيرته؛ يُنظَر: ابن حيّان: (89-271)؛ **ابن سعيد المغربي**، علي بن موسى (ت. 685هـ/1286م): **المغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، القاهرة، د. ت: 2/(38-45)؛ ابن الأثير: 5/(308-309)، (314-315)، 325، (335-336)، (344-346)؛ النُّويري: 23/(210-219).

(2) **مجهول**: **أخبار مجموعة في فتح الأندلس**، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989: (117-118)؛ ابن سعيد المغربي: 39/1؛ النُّويري: 219/23.

(3) **بهلول بن مرزوق**: ثار في الثَّغر الأعلى بين عامي (181-182هـ/797-798م)، ودخل سرقسطة، وصار يشنُّ غاراته على ما حولها، فأرسل له الحكمُ عمروساً بن يوسف، الذي تمكَّن من دخول سرقسطة بعد هروب بهلول، وما لبث الأخير أن قُتِل عام 186هـ/802م. يُنظَر: **العذري**، أحمد بن عمر (ت. 478هـ/1085م): **نصوص عن الأندلس**، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، منشورات معهد الدِّرسات الإسلاميَّة (د. ط)، مدريد، (د. ت): 27؛ ابن الأثير: 5/(314-315)؛ النُّويري: 211/23.

(4) ابن سعيد المغربي: 40/1؛ يُنظَر أيضاً:
Lacarra, J.: **Historica politica del Navarra**, Pamplona: Editorial Aranzadi, 1972: I\45.

(5) **Lafuente**, M.: **Historia general de España desde los tiempos más remotos hasta nuestros días**, *Establecimiento Tipográfico de Mellado*, Madrid, 1887: II\198.

(6) **عبد الله وسليمان**: ابنا عبد الرَّحمن الداخل. عبد الله: قام بالأمرِ لأخيه الأمير هشام الرّضا في غيابه، ثمَّ ثار عليه، وفي عهد الحكم ثار ببلنسية والثَّغر الأعلى، ثم استدعى أخاه سليمان من بلاد المغرب، وبعد أن عقد الصُّلح مع الحكم استقرَّ ببلنسية، فلُقِّب بالبلنسي، وكانت له مساهماتٌ جهاديَّة. يُنظَر: ابن الأبّار: 2/(363-364). أمّا سليمان، فبقي على تمرُّده، إلى أن قتله الأميرُ الحكم عام 184هـ/800م. يُنظَر: المصدر نفسه: 42/1. وللمزيد عن تمرُّدهما وأحوالهما؛ يُنظَر: ابن حيّان: (93-102)، 97؛ ابن الأثير: 5/(308-309).

(7) ابن حيّان: 166؛ ابن خلدون: 161/4.

(8) ابن حيّان: 97؛ **الزُّهيري**، سهير جواد؛ **العلياوي**، حسين: **دعم شارلمان لتمرُّد أبناء عبد الرَّحمن الدّاخل سنة 180هـ/796م**، مجلَّة أبحاث البصرة للعلوم الانسانيَّة، مج48، ع1(ب)، 2023: (441-448)؛ يُنظَر أيضاً:
Lacarra: I\(44-45); Lafuente: II\195.

(9) بروفنسال: 150.

(10) Lafuente: II\195.

(11) **Wreglesworth**, J.: **The chronicle of Alfonson lll and its significance for the historiography of the Asturian kingdom 718-910 AD**. Ph.D thesis, University of Leeds, 1995: 152.

ولم يقف الأمرُ عند هذا الحدّ؛ ففي مطلع عهد الحكم توجَّه سعدون الرَّعيني والي مدينة برشلونة هو الآخر إلى بلاط الملك شارلمان في مدينة آخن، ودعاه إلى السَّيطرة على مدينته، ووعده بتقديم المساعدة على تحقيق ذلك[1]. ووفد إلى بلاطه أيضاً أحدُ حُكّام مدينة وشقة، واسمه "حسن"، وقدَّم له مفاتيح مدينته، ووعده بتسليمها لقوّاته عندما تصل إلى أبوابها، ولكنّ المدينة المذكورة، في الحقيقة، لم تفتح أبوابها للفرنجة عندما ظهر جيش لويس حاكم أقيطانية أمام أسوارها في العام التّالي[2]. وبدوْره، عبَّر ملك أستورياس ألفونسو الثّاني (*Alfonso II*) (175-227هـ/791-842م)[3] عن مباركته للتَّعاون المشترك بين شارلمان والمتمرِّدين المسلمين، وأبدى استعداده لمساعدته والاعتراف بسيادته على أيَّة منطقة يتمكَّن من السَّيطرة عليها جنوب جبال ألبرت[4].

بناءً على ذلك، قرَّر شارلمان إسناد صلاحيّات تقرير أوضاع المناطق الحدوديَّة الجنوبيَّة إلى ابنه لويس، وأمره في الوقت ذاته بالتَّنسيق مع عبد الله البلنسي حول طبيعة الخطوات اللاحقة. ثم استقبل لويس في طولوشة عام 181هـ/797م وفداً من طرف ألفونسو الثّاني ملك أستورياس، وحضر اللقاء ممثِّلون عن بهلولٍ بن مرزوق مصطحبين معهم الهدايا نيابة عن سيّدهم. واتَّخذ المجتمعون القرار بالبدء بتجريد حملات عسكريَّةٍ إلى المنطقة الجبليَّة الواقعة بين جيرونة وأعالي وادى سيجرى (*Serge*)، وتضمُّ مدينة أوسونا (*Ausona*) وقلاع كاردونا (*Cardona*) وكاسيريس (*Caserras*) وغيرها من الحصون، وتقرَّر أيضاً العمل على تعزيز دفاعاتها وترميم أسوارها، تحت إشراف الكونت بوريل (*Borrell*)[5].

وفي العام المذكور أرسل لويس حاكم أقيطانية قوَّة عسكريَّة، بهدف السَّيطرة على مدينة وشقة، ولكنَّها، لم تفتح أبوابها للجيش الفرنجيّ، كما وعد واليها[6]، وعندما أدرك صعوبة السَّيطرة عليها، تحولت أنظارُه إلى مدينة جيرونة؛ فخرج بنفسه على رأس جيشٍ كبيرٍ، اشتمل على عناصر تابعة لعبد الله البلنسي، وعبر جبال ألبرت، وقام بمحاصرتها. وعلى الرَّغم من استبسال أبي صفوان، عامل الحكم عليها، في الدِّفاع عنها، فإنَّه تمكَّن من السَّيطرة عليها[7]. وكان الحكم آنذاك منشغلاً بمقارعة ثورة طليلطة؛ إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من توجيه حملةٍ عسكريَّةٍ إلى الشَّمال، بقيادة الوالي فُطَيس بن سليمان[8]، الذي ما أنْ وصل حتّى انضمَّ إليه فرسان سرقسطة ووشقة. وفي ذلك الوقت تلقّى القائد المذكور معلومات، بوساطة عبد السَّلام بن وليد (كان حيّاً عام 206هـ/822م)[9]، قاضي وشقة، تفيد بأنَّ الوالي حسن قد سلَّم مدينته للفرنجة، الذين تمكَّنوا أيضاً من السَّيطرة على بمبلونة (*Pamplona*)، وعندما تناهت هذه الأخبار إلى مسامع الأمير الحكم، ترك عمروساً بن يوسف[10] محاصِراً لطليطلة[11]، وتوجَّه على رأس خيرة فرسانه إلى الشَّمال الأندلسيّ[12]، وانضمَّ إليه عديدٌ من الولاة؛ فتقهقرت القوّات الفرنجيَّة أمامه، ما مكَّنه من استعادة مدينتيّ وشقة ولاردة. ثم انتقل إلى أحواز برشلونة، ومن هناك توغَّل في الأراضي الفرنجيَّة، ودخل مدينة أربونة، حيث قتل عدداً كبيراً من الرّجال، وأسر النِّساء والأطفال، وعاد بثروات لا تُحصى، فأطلق عليه رفاقُه بسبب هذه الإنجازات لقب: المظفَّر، وأبقى عبدَ الكريمَ بن مغيث وفُطيساً بن سليمان يحرسان الحدود في الجهة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة، ورحل هو إلى

---

(1) بروفنسال: 150؛ (Lafuente: II\195).

(2) Lacarra: I\46.

(3) **ألفونسو الثّاني**: لقِّب بالعفيف (*El Casto*)، وتولَّى الحكم عام 150هـ/791م، فعمل على تحصين الثُّغور، وجعل مدينة أفييدو (*Oviedo*) عاصمةً له، وقام بعدَّة حملات داخل الأراضي الإسلاميَّة، ولكنَّه بالمقابل تعرَّض لعديدٍ من الهزائم على يد الأندلسيّين، وتوفِّي عام 227هـ/842م، تاركاً العرش لابنه راميرو الأول (*Ramiro I*) (227-235هـ/842-850م). يُنظَر: عنان: 354/1.

(4) بروفنسال: 150.

(5) Lacarra: I\44-45; Lafuente: II\195. (بروفنسال: 147).

(6) Lacarra: I\46.

(7) **محمود**، منى حسن: **المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (92-206هـ/714-815م)**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986: 195.

(8) **فُطَيس بن سليمان**: بن عبد الملك بن زيّان، الوزير، الكاتب للأميرين هشام الرِّضا والحكم الربضي؛ يُنظَر: ابن الأبّار: 365/2.

(9) **عبد السَّلام بن وليد**: من أهل وشقة، استقضاه الأمير الحكم فيها، وكان عالماً متفنِّناً؛ يُنظَر: **ابن الفرضي**، عبد الله بن محمَّد (ت. 403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، جزءان، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008: 375/1؛ **الحميدي**، عبد الله بن محمَّد بن فتوح (ت. 488هـ/195م): **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: بشّار عوّاد معروف ومحمَّد بشّار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط1، تونس، 2008: 423. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ العديد من العلماء والقضاة كانوا يفضِّلون المُرابطة في الثَّغر الأعلى لجهاد الاعداء، ومنهم القاضي فرج بن كنانة (ت. 215هـ/830م)؛ قاضي قضاة قرطبة في عهد الحكم، وشارك في بعض الحملات ضدَّ الممالك المسيحيَّة؛ يُنظَر: السّامرّائي: 158.

(10) **عمروس بن يوسف**: كان في خدمة مطروح بن سليمان الأعرابي (ت. 165هـ/782م)، فقتله، ولمّا قدِم قرطبةَ في عهد الحكم ولّاهُ طلبيرةَ ثمَّ طليطلةَ، وأرسله للقضاء على تمرُّد بهلول بن مرزوق في سرقسطة، ففعل، وولّاهُ الأميرُ عليها، وغزا بمبلونة غيرَ مرَّة، ومات بسرقسطة عام 198هـ/814م، ويُقال بتطيلة عام 193هـ/809م. يُنظَر: العذري: 28.

(11) **طليطلة**: تقع في وسط بلاد الأندلس على نهر التّاج، جنوب غرب مجريط ووادي الحجارة، وتبعد عن الأخيرة 65 ميلاً، وتشتهر بكثرة مزروعاتها وأشجارها؛ يُنظَر: الحميري: (393-394).

(12) اعتادت معظم الجيوش الإسلاميَّة الذّاهبة لمحاربة مسيحيّي الشَّمال، على سلوك الطَّريق الرّوماني القديم المارّ بطليطلة، ثم وادي الحجارة، فمدينة سالم، ثم الثَّغر الأعلى، وبعد ذلك تنطلق إلى وُجهتها؛ يُنظَر: السّامرّائي: 157.

طليطلة لاستئناف مقارعة المتمرّدين[1]. ولمّا رأوا عبث المقاومة، عاد عددٌ منهم إلى الطّاعة، كما استردَّ الحكم سلطانه على المدن الشّماليَّة المتمرِّدة[2].

ومن ناحيةٍ أخرى، لطالما شجَّع الفرنجةُ ملوكَ الممالك المسيحيَّة الإسبانيَّة على مواصلة مهاجمة المدن الأندلسيَّة، كما حصل عندما زحف ألفونسو الثّاني بنفسه، عام 182هـ/798م، على رأس قوّاته نحو الجنوب، مخترقاً أرض لوسيتانيا (*Lusitania*)[3]، وبعد اجتيازه نهر التّاج، وصل إلى مدينة أشبونة[4]، فعاث خراباً في ريفها وقتْلاً وأسْراً لسكّانها المسلمين، وسلْباً لممتلكاتهم، وبعد عودته إلى أوفييدو، أوفد النَّبيليْن القوطيَّيْن باسيليكو (*Basilico*) وفرويا (*Froya*) إلى بلاط شارلمان في مدينة آخن ليزفّا له البشائر بنجاح الحملة، واصطحب الوفدُ معه سبعة آلاف أسيرٍ مسلمٍ مع عددٍ مُماثلٍ من الخيول، فضلاً عن عديدٍ من النَّفائس من الحملة المذكورة، بهدف تعزيز عُرى التَّحالف والصَّداقة بين الطَّرفين، اللّذيْن ظلّا يحافظان عليها طوال مدة حُكم شارلمان وابنه لويس الأوّل من بعده[5].

السَّيطرة الفرنجيَّة على مدينة برشلونة عام 185هـ/801م

أصبحت الظُّروف بحلول عام 184هـ/800م، مهيأةً للفرنجة للقيام بحملةٍ ضدَّ مدينة برشلونة، وبخاصَّةٍ بعد الوعود التي قطعها سعدون الرَّعيني واليها على نفسه أمام الملك الفرنجيّ شارلمان، بتسليمه مدينته، وكانت بعض المدن الأخرى تتراوح في علاقاتها مع قرطبة ما بين التَّمرُّد والولاء، ومنها مدينة بمبلونة التي قام بعض سكّانها البشكنس عام 182هـ/٧٩٨م بقتل عاملها مطرِّف بن موسى بن قسيّ، واختيار زعيمٍ لها من أبناء جلدتهم[6]. فضلاً عن تحريض عبد الله البلنسي لولاة مدينة وشقة الحدوديَّة على التَّمرُّد[7]. وممّا شجَّع الفرنجة على السَّعي للسَّيطرة على مدينة برشلونة؛ إدراكهم لأهميَّة موقعها الاستراتيجيّ، وحصانتها، حيث وصفها ابن حيّان بأنّها غرَّة الثَّغر الشّماليّ الأندلسي[8].

وقبل تجريد الحملة وثَّق شارلمان عُرى التَّحالف مع ملوك كلٍّ من أستورياس ألفونسو الثّاني وزعماء البشكنس، حتّى يضمن استمرار ولائهم وانضمامهم لقوّاته ، وبخاصَّة أنَّ البشكنس كانوا يخضعون للسُّلطة السّياسيَّة لمملكة أستورياس[9]. وبدوْره عقد لويس حاكم أقيطانية، بناءً على تعليمات والده، اجتماعاً رسميّاً في طولوشة، بهدف تشكيل حلفٍ قويّ يضمُّ أكبر عددٍ من الملوك والأمراء الفرنجة والإسبان، لحشد الطّاقات اللازمة للزَّحف نحو مدينة برشلونة والسَّيطرة عليها، وضمَّ الاجتماع وفوداً من الكونتيّات والأقاليم الفرنجيَّة الجنوبيَّة: أقيطانية، طولوشة، بروفنسال (*Provencal*) وبرجنديا (*Bourgogne*) وأوفرنيا (*Auvernia*)، وممثِّلين عن بلاد البشكنس وأستورياس، وتشكَّل الجيش من قوّات هذه الأقاليم[10]، واشتمل على عددٍ من كبار القادة العسكريّين، كوليام دوق طولوشة الأكثر حماسة بين الحاضرين، مدفوعاً بنزعة انتقاميَّة جامحة حيال الكارثة التي حلَّت بجيشه في معركة نهر أوربيو. ومنهم أيضاً الكونت القوطيّ بيرا (*Bera Conde de Barceloa*) (185-204هـ/801-820م)، وروستانغ دوق جيرونة (*Rostaing de Gerone*) (168-185هـ/785-801م)[11].

أجمعت الرِّوايات التّاريخيَّة أنَّ حملة الفرنجة على برشلونة وسيطرتهم عليها كانت عام 185هـ/801م[12]، ولكنَّ بعض المراجع الحديثة اختلفت فيما بينها في موعد الانطلاق ومدَّة الحصار، فقيل بأنَّها بدأت عام 183هـ/799م، ومكثت محاصِرة للمدينة لمدَّة عامين[13]، وقيل أيضاً بأنَّ الحصار قد استمرَّ سبعة شهور فقط[14]، ما يعني أنَّ الحملة قد بدأت في عام السُّقوط نفسه، ويبدو أنَّ هذا الرَّأي هو الذي يتوافق مع سياق الأحداث، وبخاصَّةٍ أنَّنا نجد في المراجع الحديثة من يؤيِّد ذلك[15].

---

(1) (Conde: I\244-245)، وحول هذه الحملة؛ يُنظَر أيضاً: (Lafuente: II\195-196).

(2) عنان: 232/1.

(3) **لوسيتانيا**: المنطقة التي تشغلها البرتغال اليوم. يُنظَر: حتاملة: 99.

(4) **أشبونة**: أو لشبونة، من كُوَر باجة (*Beja*)، وتقع في غربيّها على الأطلسي؛ يُنظَر: الحموي: 195/1؛ الحميري: 61.

(5) Wreglesworth: 154; Lafuente: II\197.

(6) بروفنسال: 148

(7) Wreglesworth: 154.

(8) ابن حيّان: ١١٧.

(9) عنان: 235/1؛ السّامرّائي: 247.

(10) Lafuente: II\198.

(11) نعنعي، عبد المجيد: **تاريخ الدولة الأمويَّة في الأندلس**، (د. ط)، دار النَّهضة العربيَّة، بيروت، 1986: 199؛ بروفنسال: 151.

(12) ابن حيّان: ١١٦؛ ابن الأثير: 309/5؛ النويري: 212/23؛ ابن خلدون: 161/4؛ المقري: 339/1.

(13) بروفنسال: 151. يُنظَر أيضاً:

Bermejo, J.: **La primera década del reinado de al-Hakam I (796-806)**, según el Muqtabis de Ben Hayyan, Anaquel de estudios árabes, 2001: 778.

(14) Conde: I\248.

(15) **الصّوفي**، خالد: **تاريخ العرب في الأندلس، عصر الإمارة**، ط2، جامعة قاريونس، بنغازي، 1980: 161.

وتنفيذاً للخطَّة تمَّ تقسيم الجيش إلى عدَّة فِرق، منها واحدةٌ بقيادة الكونت بيرا، يعاونه دوق جيرونة وأوكلت إليها مهمَّة محاصرة المدينة، والثّانية برئاسة وليام دوق طولوشة لترابط في الجهة الجنوبيَّة الغربيَّة من المدينة، وتحديداً بين مـدينتيّ لاردة وطركونـة[1] لمنـع المسـلمين مـن إنقـاذها، والحيلولة دون وصول أيِّ مدد إليها[2]. وانطلقت القوات الحليفة مخترقة أراضي الثَّغر الأعلى نحو مدينة برشلونة، تحرق المزروعات وتخرِّب الممتلكات، حتّى وصلت إلى أحواز المدينة، وعلى الفور بدأت الفرقة القوطيَّة بقيادة الكونت بيرا بتطويقها[3]؛ كتب ابن حيّان: "وأناخ عليها بكلكله، وحصرها بجمعه"، وعاملُها هو سعدون الرَّعيني الذي كان آنذاك موالياً للأمير الحكم[4].

وعمدت فرقة من القوّات المسيحيَّة إلى قطع الأشجار الواقعة حول المدينة، فصُنعت السّلالم وأُقيمت الحواجز وبُنيت الأبراج الخشبيَّة، كما نُصبت المجانيق ومختلف أنواع آلات الحصار والضَّرب، وجُمعت الحجارة اللازمة لذلك. وبدوْرهم، كان أهالي المدينة قد استعدّوا للدِّفاع عنها، ورابطت مفرزةٌ من حاميتها فوق الأسوار، وأسهم تشجيع الرَّعيني في رفع معنويّاتهم، ما مكَّنهم من صدِّ الهجمات المسيحيَّة عن الأسوار. وخلال ذلك قامت القوّات الحليفة بنهب ثمار المزروعات في أراضي لاردة ووشقة. ومن أجل تشديد الحصار؛ انضمَّت فرقةُ وليام دوق طولوشة للقوّات المحاصِرة، وتمَّ تكثيف الضَّربات بواسطة آلات الحصار والهجوم، ولم يتوقَّف الطَّرفان، في أثناء ذلك، عن كيل الشَّتائم وتوجيه عبارات التَّهديد لبعضهما، وحاول المسلمون التَّأثير على معنويات محاصِريهم، من خلال الظُّهور بمظهر القادر على الصُّمود مدة طويلة، كقولهم للقائد المسيحيِّ: "لن تتمكَّن أيَّة حيلةٍ حربيَّة من جعلكم أسياداً للمدينة، ونحن لا ينقصنا القوت؛ فلدينا اللّحم والدَّقيق والعسل، وأنتم تتضوَّرون جوعاً". ولم يكن ذلك يعكس الواقع الحقيقي للمحاصَرين، ذلك أنَّه ما كاد يمضي بعضُ الوقت حتّى عانوا من الجوع، ما اضطرَّهم إلى أكل جلود الحيوانات. وعلى الرّغم من ذلك فضَّلوا الصُّمود والاستمرار بالمقاومة، وكانوا يأملون أن تجبر قسوة برد الشِّتاء المسيحيّين على رفع الحصار والعودة من حيث أتوا، ولكنهم دُهشوا عندما رأوا ضخامة الاستعدادات المسيحيَّة، كبناء الأكواخ والملاجئ وحفر الخنادق حول المدينة، فأيقنوا بأنَّ الحصار سوف يستمرُّ في الشِّتاء، وما زاد في إحباطهم؛ قدوم الملك لويس الأول مع قوَّة عسكريَّة إضافيَّة، وكلَّما همَّ الأهالي بالاستسلام أمَّلهم حاكم المدينة بقُرب وصول النَّجدة القرطبيَّة، وعندما تأخَّرت، قرَّر مغادرة المدينة لالتماس العون من قرطبة بنفسه[5]. وكان قبل ذلك قد أرسـل طالباً المدد من قرطبة وعمّال الثَّغر، ولكنَّه لم يتلقَّ شيئاً[6]، وينفرد لافوينتي (*Lafuente*) بالقول إنَّ مواد تموينيَّة قد وصلتهم عن طريق البحر[7]، وهذا أمرٌ مستبعدٌ، ويعود سبب عدم وصول أيَّة نجدة إلى بُعد المسافة بين قرطبة وبرشلونة، وكذلك بسبب اضطراب أمور عمال الثَّغر وتحفُّزهم الدّائم للخروج على حكومة قرطبة[8]. وقد يعود سبب تلكُّؤ الحكم في إغاثة برشلونة، إلى نقمته على حاكمها الرَّعيني، الذي كان فيما سبق قد أبدى استعداده لتسليم المدينة للفرنجة[9]. وقبل خروجه أوصى الرَّعيني أهالي المدينة بالصُّمود، وعدم الاستسلام، وألا يستفزّوا العدوَّ بأيِّ عمل متهوِّر، وقال لقادتها إنَّه إذا ما وقع في أسر العدوِّ وأُجبر على دعوتهم للاستسلام، عليهم ألا يمتثلوا. وخرج راكباً جواده في ليلة شتاءٍ مظلمة، وحاول أن يخترق خطوط العدوّ، فاكتشف المسيحيّون أمره وقبضوا عليه، وأخذه وليام دوق طولوشة إلى خيمة لويس حاكم أقيطانية[10]، وعلى نحوٍ مخالفٍ للحقيقة يدَّعي برميخو أنَّ الرَّعيني قد استسلم وفتح أبواب المدينة للفرنجة؛ بسبب عدم تلقّيه أيَّة مساعدة من قرطبة وحكّام المدن المجاورة[11].

واستمرَّت القوّات الحليفة بتشديد الحصار على المدينة، وفي الوقت نفسه بدأت بمهاجمتها بقوَّة، ونصب قسمٌ منها السـلالم لتسلُّق الأسـوار والأبراج، وآخر تولّى هدمها، وتكفَّل قسمٌ ثالثٌ بتوفير العتاد والمواد التموينيَّة[12]، واستخدموا مختلف أنواع الآلات الحربيَّة، وفي أثناء ذلك استبسل المسلمون في الدِّفاع، وأمطروا مهاجميهم بوابلٍ من السِّهام والحجارة، إلا أنَّ المهاجمين استطاعوا إحداث فتحات في الأسوار، في وقتٍ استنفذ فيه المدافعون وسائلَ الدِّفاع كلِّها؛ فقرَّروا الاستسلام بشرط السَّماح لهم بالخروج مع عائلاتهم وأسلحتهم وأمتعتهم، فقوبل ذلك بالموافقة، وبعد أن فُتِحت الأبوابُ اندفع المهاجمون وانتشروا في أرجاء المدينة[13]، ولكنَّهم نكثوا بوعودهم وقاموا بقتل عديدٍ من أهلها، وسلبوا كثيراً مـن الأسـلحة والخيـول والأموال[14].

---

[1] مدينة ساحلية متَّصلة بأعمال طرطوشة، وتقع بين الأخيرة وبرشلونة، ولها نُهيْر يسمّى باسمها؛ يُنظَر: الحموي: 32/4.
[2] عنان: 235/1؛ (Lafuente: II\198).
[3] بروفنسال: 150.
[4] ابن حيّان: ١١٧.
[5] Lafuente: II\(198-199); Lacarra: I\45.
[6] ابن حيّان: 117؛ ابن الأثير: 309/5.
[7] Lafuente: II\199.
[8] عنان: 235/1.
[9] Lafuente: II\202.
[10] Lafuente: II\200.
[11] Bermejo: 778.
[12] **الدرويش**، جاسم ياسين؛ **العلياوي**، حسين جبّار: **برشلونة بين الإسلام والنصرانيَّة (94-664هـ/712-1269م)**، ط1، تموز للطِّباعة والنَّشر، دمشق، 2017: 67.
[13] Lafuente: II\201.
[14] عنان: 236/1.

وفي اليوم التّالي دخل لويس حاكم أقيطانية إلى المدينة على رأس جمعٍ غفيرٍ يتقدَّمه الكهنة ورجال الدّين يرتِّلون المزامير وينشدون التَّرانيم، وتوجَّهوا إلى مسجد المدينة الذي تحوَّل للتَّوِّ إلى كنيسة سانتا كروز (*Santa Cruz*)، وقدَّم لويس الشُّكر "للربِّ" على هذا الفوز المهمّ، وبقي في المدينة مدة قصيرة، ثم غادرها تاركاً فيها الكونت بيرا، مع حامية قويَّة من الفرنجة والإسبان، وعاد إلى أقيطانية، ومن هناك أرسل الكونتَ بيجو (*conde Bego*) ليزفَّ البُشرى للملك شارلمان، وأرسل معه الأسيرَ سعدون الرَّعيني ومجموعة من الغنائم كالدُّروع والخُوذ والخيول، وعبَّر الملك عن سروره بهذا الإنجاز، وقيل إنَّ الرَّعيني عومل بطريقةٍ سيئةٍ عقاباً له على نكثه بالوعود تجاه الملك، ثمَّ حُكم عليه بالنَّفي[1]. وهكذا سقطت المدينـة بعد أن حكمها المسلمون نحو تسعين عاماً. ويمكن إجمال أهم عوامل سقوطها، بالدَّعوة التي كان حاكمها الرعيني قد وجَّهها لشارلمان بالسَّيطرة عليها، ولبُعد المسافة بينها وبين قرطبة، وتخاذُل عمّال الثُّغور الشَّماليَّة عن نجدتها، وميلان ميزان القوى لصالح القوى الحليفة بقيادة الفرنجة، وضعْف إمكاناتها العسكريَّة والدِّفاعيَّة.

وذكر ابن حيّان أنَّ الأمير الحكم، وفي محاولة متأخرة منه لإنقاذ المدينة جرَّد في شهر رمضان من العام المذكور جيشاً نحو الشَّمال، بقيادة أخيه معاوية، ولكنَّ الأخير ابتعد عن الهدف الرَّئيس، فقصد منطقتيّ ألبة والقلاع، وتعرَّض عسكرُه لهزيمةٍ قاسيةٍ في فج أرغنسون (*Puebla de Arganzón*)[2]، حيث اصطدم مع القوّات الفرنجيَّة والباسكيَّة، ما أدّى إلى مقتل عدد من قادته، منهم: عبدوسٌ بن السمح، منصورٌ الخصي الصّقلبي، ذو القرنين، ابن الخولاني وامرؤ القيس بن حيوة، وقفل بالجيش إلى قرطبة حزيناً؛ بسبب ما حلَّ بقوّاته، فمات بعد اثنين وستّين يوماً، في ذي القعدة من عام 185هـ/نوفمبر801م[3]. وتبنّى برميخو هذه الرِّواية، وأضاف بأنَّ الفجَّ المذكور يقع في منطقة تريفينيو (*Trivino*) في مقاطعة برغش[4]، وسط شماليِّ البلاد[5]. وأمّا المصادر المتأخِّرة فتذكر بأنَّ قوّات الحملة كانت بقيادة الحاجب عبد الكريم بن مغيث، ووصلت إلى غاليسيا، وتمكنت من إحداث القتل والدَّمار في بعض نواحيها، واصطدمت مع القوّات المسيحيَّة في منطقة ذات مضائق جبليّة صعبة، وحينها لجأ القائدُ المسلمُ إلى إعادة تعبئة جيشه وتنظيمه، ما مكَّنه من الظَّفر بالنَّصر[6]. ويبدو أنَّها هي ذاتها الحملة التي أشار إليها بروفنسال، نقلاً عن مصادر أجنبيَّة، وأضاف بأنَّ الجيش القرطبيَّ قرَّر في أثناء زحفه الإغارة على ألبة، فابتعد بذلك عن هدفه الأساس[7]، ويبدو أنَّ ذلك قد حصل بعد أن تناهت إلى أسماع الجيش الإسلاميِّ أنَّ برشلونة قد وقعت بيد الفرنجة، وانتهى الأمر.

وعلى الرَّغم ممّا جاء في هذه الرِّواية عن هُويَّة قائد الحملة على وجه التَّحديد، إلا أنَّ لافوينتي (*Lafuente*) يذكر أنَّ من وقف على رأسها هو الأمير الحكم بنفسه، وأضاف بأنَّه بعد وصوله إلى سرقسطة مرَّ بمبلونة ثمَّ سار على ضفاف نهر إبرو حتّى أتى وشقة، وتمكَّن من انتزاعها من حاكمها حسن المتمرِّد عليه، وربَّما قام أيضاً بقتل والي برشلونة السّابق سعدون الرَّعيني، ثم سار إلى طرَّكونة بهدف القضاء على تمرُّد بهلولٍ بن مرزوق، الذي كان يتَّخذ منها قاعدة انطلاق لمهاجمة الحاميات الإسلاميَّة التّابعة للدَّولة، وتخريب الحقول الزراعيَّة، وتمكَّن من السَّيطرة عليها وملاحقة بهلول الذي هرب إلى طرطوشة، حيث تمكَّن من إلحاق الهزيمة به وأسْرِه، إلى أنْ أمر بقطع رأسه عام 187هـ/803م. وأخيراً عاد الأمير إلى قرطبة عبر طرطوشة ثم بلنسية، دون أن يتمكَّن من استعادة مدينة برشلونة[8].

وكان كوندي (*Conde*) ممَّن أيَّدوا الرِّواية السّابقة عن قيادة الحكم للحملة، وأضاف أنَّه عندما سقطت برشلونة رُزِق الأميرُ في قرطبة بمولودٍ جديدٍ، فعدَّ ولادته فأل خيرٍ وسعادةٍ، وسمّاه "سعيد الخير"، وبعث ذلك في نفسه شعوراً بالتَّفاؤل بنجاح حملته المُزمعة على برشلونة[9]. وأما المؤرِّخ رجلسويرث (*Wreglesworth*)، الذي تحدَّث عن هذه الحملة باقتضابٍ شديدٍ، فلم يتطرَّق إلى هُويَّة قائدها[10].

وخسر المسلمون بسقوط برشلونة أمنع ثغورهم وأكثر مراكزهم العسكريَّة أهميَّةً في الجهة الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من الأندلس، التي كانوا ينطلقون منها إلى الأراضي الفرنجيَّة والإسبانيَّة، وبخاصَّةٍ بعد ارتدَّت حدود دولتهم إلى الجنوب، بعد أن كانت تتاخم جبال ألبرت[11]، ومن ناحية أخرى، تقطَّعت أوصالُ ممتلكاتهم في الشَّمال، بعد أن بسط الفرنجة نفوذهم على المنطقة الواقعة من برشلونة إلى طرطوشة والأراضي المتاخمة لها على امتداد نهر إبرو، ما كان له أثرٌ بالغٌ في رسم معالم مستقبل الصراع بين الفرنجة والإسبان من جهة،

---

(1) Lafuente: II\201.

(2) **فج أرغنسون**: شِعبٌ أو ممرٌّ جبليٌّ، يقع بالقرب من مصبِّ نُهيْر زادورا (*Zadorra*) في نهر إبرو، في منطقة ألبة؛ يُنظَر: ابن حيّان، الحواشي الختاميَّة: 476.

(3) ابن حيّان: 117.

(4) **برغش**: تقع أقصى شمال الأندلس، وكانت تمثِّل قاعدةَ مملكة ليون (*Leon*)، وهي مدينةٌ كبيرةٌ يخترقُها نهرٌ، ولها سورٌ منيعٌ، وكرومٌ كثيرة. يُنظَر: الحميري: 88.

(5) Bermejo: 778.

(6) ابن خلدون: 161/4؛ المقري: 339/1.

(7) بروفنسال: 151.

(8) Lafuente: II\203.

(9) Conde: I\248.

(10) Wreglesworth: 154.

(11) عنان: 236/1.

والأندلسيّين من جهة أخرى[1]. وشكّلت السَّيطرة على مدينة برشلونة مصدر قوَّة للفرنجة الذين استطاعوا ضمان حماية حدودهم الجنوبيَّة من خلال إزاحة الخطر الإسلاميَّ بعيداً عنها، وما أن ضمَّها شارلمان إلى أملاكه، حتّى نقل إليها مقرَّ قيادة قوّاته من جيرونة، ودعَّمها بالحاميات العسكريَّة[2]، وتقلَّدت الدَّورَ ذاتَه الذي أدته جيرونةُ من قبل، كرأس جسر فرنجيٍّ وقاعدة انطلاق للسَّيطرة على المزيد من الأراضي الأندلسيَّة، ومن ذلك قيام الفرنجة بالوصول حتى طركونة وأحواز طرطوشة، ما اضطرَّ الحكم إلى تجريد قوَّة عسكريَّة لمواجهتكم ودحْرهم[3].

كما شكَّلت مدينة برشلونة بعد السَّيطرة عليها نواةً للإقليم الفرنجيّ الجديد الذي تم استحداثُه باسم الماركيَّة الإسبانية (*Marca Hispanica\Hispana*)، وتمَّ منح النبيل القوطيّ بيرا لقب كونت برشلونة (801-820م)؛ تقديراً لجهوده في السَّيطرة عليها، وضمَّت هذه الماركيَّة عدداً من الكونتيّات مع برشلونة، وهي مدن: جيرونة وأوسونا وأورجل وسولسونة (*Solsona*) وكاسيراس، وحصن كاردونا ومانريسا (*Manresa*)، وما حول هذه المدن والحصون ممّا اقتطعه الفرنجة من الأراضي الإسلاميَّة، وتمَّ شحنها بالقوّات[4]، بقيادة ما عُرف بصاحب الحدود (*Praefectus Limitus*)، بهدف الدِّفاع عنها، وأنشأ لويس الأوَّل داراً لصناعة السُّفن بالقرب من ميناء برشلونة، الذي استفاد منه الفرنجةُ في ربط الماركيَّة مع موانئ فرنسا الجنوبيَّة على البحر المتوسِّط[5]. ومنذ عام 190هـ/806م، بدأت تظهر كونتيّاتٌ فرنجيةٌ ذات طابعٍ عسكريٍّ، تتبعُ كونتيَّة طولوشة، كتلك التي أنشأها الكونت أورولو (*Aureolo*) مقابل وشقة وسرقسطة[6].

وفضلاً عمّا ذُكر، أصبح من الطَّبيعي أن يخضعَ المسيحيّون المقيمون في أودية جبال البرانس المرتفعة وفي بمبلونة لنفوذ الدَّولة الفرنجيَّة وحمايتها[7]، ومنذ تأسيس الماركيَّة المذكورة بدأ العديد من مسيحيّي المدن الأندلسيَّة يتوافدون إليها، هرباً من حُكم المسلمين. وتمَّ استقبالهم بشكلٍ جيِّدٍ، بسبب حاجة الفرنجة هناك إلى الأيدي العاملة في مختلف المجالات الصناعيَّة والزراعيَّة. وفي وقت قصير، نجح هؤلاء في إنعاش المجالات المذكورة، إلا أنَّهم ما لبثوا أنْ تنازعوا فيما بينهم على الأراضي والملكيّات، وتعرَّضوا للاضطهاد والاستغلال على يد كونت برشلونة، الذي أخذ يفرض عليهم الضَّرائب الباهظة، فرفعوا شكواهم لشارلمان، الذي أصدر مرسوماً قضى بإنصافهم[8]، وضمَّ في نهايــة عهده هذه الماركيَّة إلى أقيطانية. وفيما بعد، وعندما شعر القوط بالقوَّة، وبسبب بُعدهم عن سلطة مملكة الفرنجة، أعلنوا استقلالهم، وغدا ثغر برشلونة الفرنجيّ إمارة إسبانيَّة، هي إمارة قطلونية، اندمجت فيما بعد في مملكة أراجون (*Reino de Aragon*)[9].

الأطماع الفرنجيَّة في مدينتي تطيلة وطرطوشة، ودور الأندلسيّين في التَّصدّي لها (187-196هـ/803-812م)

برز الدَّور العسكريُّ لمدينة تطيلة[10] بعد سقوط مدينة برشلونة بيد الفرنجة، ما جعل الأمير الحكم يوليها اهتماماً خاصّاً، فرمَّم وزاد من عدد حاميتها، ولكنَّها خضعت بعد وقت قصير لحكم أسرة بني قَسيّ[11]. وتفيد الرِّواية الإسلاميَّة أنَّ الفرنجة تمكَّنوا عام 187هـ/803م من السَّيطرة عليها، ذلك أنَّه بعدما ولّى الأميرُ الحكمُ عمروساً بن يوسف على سرقسطة، انتزعها من بني قسي، وأمَّر ابنه يوسفاً عليها، ولكنَّ ذلك لم يرُقْ لهم، بسبب أطماعهم القاضية بالتَّفرُّد بالسَّيطرة على منطقة الثَّغر الأعلى، فلجأ بنو قسي إلى التَّحالف مع الفرنجة، وتقدَّمت القوّات المتحالفة نحو مدينة سرقسطة لانتزاعها من عمروس، وبعد أن فشلت قامت بتغيير وُجهتها إلى مدينة تطيلة، وتمكَّنت من السَّيطرة عليها وأسْر أميرها يوسف، وإيداعه في مكانٍ يُدعى صخرة قيس (*La Peña de Echauri*)[12]، فردَّ أبوه عمروسٌ على ذلك

---

[1] Lafuente: II\202.

[2] ابن حيّان: ١١٧؛ ابن الأثير: 309/5.

[3] بروفنسال: 151؛ (Conde: I\248).

[4] عنان: 235/1؛ الدرويش والعلياوي: ٦٩؛ نعنعي: 200؛ (Lafuente: II\198).

[5] محمود: 197.

[6] Lacarra: I\52.

[7] Ibid.:I\(52-53).

[8] Lafuente: II\209.

[9] الدرويش والعلياوي: 69؛ نعنعي: 200؛ عنان: 236/1.

[10] **تُطيلة**: تتَّصل بأعمال وشقة، غزيرة المياه، كثيرة الأشجار، اختطَّها الأمير الحكم الربضيّ شمال غرب سرقسطة، على الضِّفة اليسرى لنهر إبرو، وبينها وبين سرقسطة 17 فرسخاً؛ يُنظَر: الحموي: 33/2؛ **أبو الخيل**، محمَّد بن إبراهيم: **الأندلس في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث الهجري**، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرِّياض، 2002: 37.

[11] الدرويش والعلياوي: 18.

[12] **صخرة قيس**: تقع على جبلٍ عالٍ جنوب سلسلة جبال سربيل (*Sierra de Sarbil*)، في إقليم الباسك؛ يُنظَر: **Manuel** J.; **Rodriguez** G.: **Nace el Reino de Pamplona Sancho I Garcés de Pamplona "El Grande" en el Alto Medievo, Localización**: Revista del Centro de Estudios Merindad de Tudela, Nº. 18, 2010: 125.

بتجهيز حملة عسكريَّة، تمكَّنت من هزيمة الفرنجة وحلفائهم من بني قسي، والوصول إلى يوسف وتحريره[1]، بعد أن قتلوا ما يقارب ألفين من الفرنجة وحلفائهم[2].

ونتيجةً لهذا النَّصر عظُم شأنُ عمروس في أعين أعدائه والموالين له على حدٍّ سواء، واستقرَّ في الثَّغر أميرًا عليه[3]. وعلى نحوٍ مخالفٍ لما جاء في الرِّواية الإسلاميَّة، فإنَّ سبب أسْر أمير تطيلة عاد إلى رغبته في إثبات شجاعته، من خلال قيامه بغزو المناطق الحدوديَّة الفرنجيَّة، في اثناء ذلك وقع في كمينٍ، فأُسِر، ما اضطرَّ والده إلى دفع فديةٍ ماليةٍ للفرنجة مقابل إطلاق سراحه[4].

ورغب شارلمان في استثمار الإنجاز الذي حقَّقه بالسَّيطرة على برشلونة من خلال التوغُّل جنوباً، والعمل على مدِّ نفوذه إلى المناطق السّاحليَّة الأخرى، لتدعيم الإقليم الفرنجيّ الجديد وتوسيع رقعته، ففي عام 192هـ/808م، أرسل جيشاً بقيادة ابنه لويس لمهاجمة الثَّغر الأعلى ومحاصرة مدينة طرطوشة على السّاحل جنوبيّ برشلونة، غير أنَّ الأمير الحكم أرسل جيشاً كثيفاً إلى الشَّمال بقيادة ولده عبد الرَّحمن (ت. 238هـ/852م)[5]، ونجح في إرغام الفرنجة على الارتداد إلى أراضيهم والتخلّي عن مشروعهم في الاستيلاء على طرطوشة في ذلك العام على الأقل، ولكنَّ لويس ما لبث في العام التّالي أن جاء لمحاصرتها، فأرسل الحكم ابنَه المذكور، وانحاز إليه عمّال الثَّغرين الأعلى والأوسط، فأحرزوا نصراً مؤزَّراً على القوّات الفرنجيَّة، وفكّوا الحصار عن طرطوشة[6]، وردّاً على ذلك قام عبد الرَّحمن ابن الأمير الحكم في عام 195هـ/811م بمهاجمة الأملاك الفرنجيَّة في النَّواحي الشَّماليَّة الشَّرقيَّة واستعاد طرَّكونة وجيرونة، ووصل في حملته إلى أربونة، وعاد محمَّلاً بالأموال والأسرى[7]. وسيَّر الحكمُ في العام نفسه جيشاً إلى الثَّغر الأعلى بقيادة عمِّه عبد الله البلنسي، فغزا قطلونية، وهاجم برشلونة، ولكنه لم يحقق فتوحاً ثابتة[8].

ويبدو أنَّ الطَّرفين قد أرهقهما استمرار القتال؛ ففي عام 196هـ/٨١٢م أوفد الأمير الحكم سفيراً إلى شارلمان في مدينة آخن، وعقد الطَّرفان معاهدة صلح مدَّتها ثلاثة أعوام، وتشير بعض المصادر الى أنَّهما اتَّفقا أيضاً على ترسيمٍ للحدود، وذلك بأن تتخلّى قرطبةُ عن مطالبتها بمدينتي برشلونة وبمبلونة والأراضي الواقعة بينهما، ويتخلّى شارلمان من جانبه عن أطماعه في مدينتيّ سرقسطة وطرطوشة، إلا أنَّ هذه الهدنة لم تطلْ، وما لبثت أن انهارت[9]، ويذكر السّامرائي أنَّ صحَّة هذه السفارة يعتريها الشَّك، ومُستَبعدة[10]، لأن الهجمات الفرنجيَّة على مدن الثُّغور بقيت مستمرَّة، إذ تفيد المصادر الإسلاميَّة أنَّ الأمير الحكم قد سار إليهم بنفسه عام 196هـ/812م، فافتتح الحصون، وخرّب النواحي وأثخن فيها قتلاً وسبياً ونهباً، وعاد إلى قرطبة ظافراً[11].

المحاولة الأندلسيَّة الأخيرة لاسترداد برشلونة، والعلاقات مع الفرنجة (197-199هـ/813-815م)

تكاد الرِّوايات الإسلاميَّة تتشابه تماماً في إيراد تفاصيل هذه الحملة، ولكنَّها تختلف فيما بينها بصورة نسبيَّة، وبخاصَّةٍ في سنة تجريدها، وفي هُويَّة قيادتها، فابن عذاري يجعلها سنة 199هـ/815م ، بقيادة عبد الله البلنسيّ عمّ الأمير الحكم[12]، و يذكر كل من ابن حيّان وابن المغربيّ عام 197هـ/813م، بقيادة عبيد الله بن عبد الله البلنسي[13]، ابن عمِّ الأمير الحكم[14]، والرّاجح أنَّ من وقف على رأس هذه الحملة عبيد الله، وذلك عام 197هـ/813م. وأمّا التَّفاصيل، فقد غلبت عليها الرِّوايات الأسطوريَّة، ذلك أنَّ الأندلسيّين وصلوا إلى برشلونة، في أحد أيّام الخميس، ولكنَّهم فضَّلوا البدء بالقتال في اليوم التّالي، أي في يوم الجمعة تيمُّناً بقداسته وبركته، وبعد الصَّلاة اشتبكوا مع الفرنجة،

---

(1) ابن الأثير: 335/5؛ يُنظَر أيضاً: الدرويش والعلياوي: (19-20)؛ **لحسن**، مطهر؛ **امحمد**، بوشريط: **موسى بن موسى بن فرتون بن قسي ودوره السِّياسي والعسكري في عهد الإمارة الأمويَّة في الأندلس (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م)**، مجلة العبر للدِّراسات التّاريخيَّة والأثريَّة في شمال إفريقيا، مج5، ع1، 2022: 399.

(2) الدرويش والعلياوي: (19-20).

(3) ابن الأثير: 335/5؛ النويري: 213/23.

(4) Conde: I\250.

(5) **عبد الرَّحمن بن الحكم**: كان سنداً لأبيه، وشارك في بعض الحملات، ووُلّي سرقسطة في عهد الحكم، وعند وفاة الأخير عام 206هـ/822م، بويع أميراً على البلاد، وكان فصيحاً، شاعراً، واسعَ العلم. شاد القصورَ وأعاد للدّولة هيبتها. وتوفِّي عام 238هـ/852. يُنظَر: ابن الأبار: 1/(113-119).

(6) الشَّيخ: 172.

(7) Lafuente: II\208.

(8) عنان: 242/1.

(9) (Lacarra: I\52)؛ محمود: 198.

(10) السّامرّائي: 251.

(11) ابن عذاري: 73/2؛ ابن خلدون: 163/4؛ المقري: 340/1.

(12) ابن عذاري: 74/2.

(13) **عبيد الله بن عبد الله**: بن عبد الرَّحمن الدّاخل، أحد رجالات بني أميَّة، صاحب الصَّوائف، الذي قادها للحكم ولابنه الأمير عبد الرَّحمن الأوسط، من ذوي مشورة الأمير الحكم وكبار قادته؛ يُنظَر: ابن الأبّار: 364/2. للاستزادة حول هذه الشخصية؛ يُنظَر: **منصور**، شاهندة سعيد: **صاحب الصَّوائف عبيد الله بن عبد الله البلنسي (180-238هـ/796-852م)**، جامعة بني سويف، كليَّة الآداب، مجلَّة الدِّراسات التّاريخيَّة والحضاريَّة المصريَّة، المجلَّد الخامس، ع (9)، 2020: (ص58-81).

(14) ابن حيّان: 137؛ ابن سعيد المغربي: 41/1.

وتمكَّنوا من إلحاق الهزيمة بهم، وقتْل عامَّتهم، ثمَّ أمر عبيد الله بقناةٍ طويلةٍ، فرُكزت في الأرض، وصُفَّت رؤوس القتلى الفرنجة حولها، حتّى غمرتها، وأمر المؤذِّنين فوقفوا فوقها يؤذِّنون ويكبِّرون[(1)]، ويبدو أنَّ هذه الرواية الخياليَّة تشتمل على مبالغة كبيرة.

وفي العام ذاته (197هـ/813م)، استأنف الحكمُ الغزوَ، فأرسل إلى الثَّغر الأعلى جيشاً بقيادة عمِّه عبد الله البلنسي، فهاجم مدينة برشلونة وحقَّق بعض الانتصارات الميدانيَّة، وفي هذه المرحلة، اتفق الفرنجة والمسلمون، مرَّة أخرى، على الجنوح للسَّلم، وتحديداً في العام 198هـ/814م الذي مات فيه شارلمان. فقد شعر الطَّرفان بعُقم هذه الحملات المتبادلة، وآثرا التفاهُم والمهادنة، ولعلَّ من أهمِّ الأسباب الأخرى؛ ظهورُ الأمير إدريس الثَّاني الحسني (187-213هـ/803-828م)[(2)] في بلاد المغرب، وتقاطُر الوفود من شمال إفريقيا والأندلس إلى بيعته، فتوجَّس الأندلسيّون والفرنجة على حدٍّ سواءٍ من ذلك، ولم يطلْ أمرُ هذا السّلم، وبخاصّةٍ بعد اعتلاء لويس الأوَّل ابن شارلمان عرش المملكة الفرنجيَّة، وكان الأمر قد التبس على ابن حيّان عندما ذكر بأنّ موت شارلمان كان عام 191هـ/807م[(3)].

وفي عام 198هـ/814م مات شارلمان وتولّى ابنه لويس عرش المملكة الفرنجيَّة، باسم لويس الأوَّل، فتبدَّدت آمال استمرار السَّلام؛ وعلى الرَّغم من المجاعة التي عمَّت بلاد الأندلس وأهلكت الحرْث والنَّسل عام 199هـ/815م[(4)]، فإنَّ الحكم لم يتردَّد في مواصلة مواجهة أطماع الفرنجة، فقد قام بتجريد حملة بقيادة عبيد الله البلنسي ضدَّ كونتيَّة برشلونة، فاشتبكت القوّات الإسلاميَّة مع الفرنجة في أحوازها، وحقَّقت النَّصر، ولكنَّ المصادر التّاريخيَّة لا تشير إلى أيَّة ردَّة فعْلٍ من جانب الملك لويس الأوَّل، الذي اكتفى بالقيام بإجراءات دفاعيَّة روتينيَّة لضمان أمن مدينة برشلونة وسائر الممتلكات الفرنجيَّة في الشَّمال الأندلسيّ، وفي الوقت نفسه، عمل على مهادنة حكّام سرقسطة المسلمين، ومن ناحيةٍ أخرى، يبدو أنَّ أحوال الفرنجة في برشلونة نفسها لم تكن على ما يُرام، وبخاصَّةٍ بعد اتّهام حاكمها الكونت بيرا بالتَّواطؤ سراً مع الأندلسيّين ودعوتهم إلى استردادها، فكُشف أمرُه وأُعدم. وبسبب ذلك كلِّه آثر لويس الأوَّل التَّوقُّف، بشكلٍ مؤقَّت، عن مهاجمة الأراضي الأندلسيَّة، وأمّا الطَّرف الإسلامي، فانشغل بأحواله الدّاخليَّة، ولهذا خلت الجبهةُ الشَّماليَّةُ الشَّرقيَّة مع الفرنجة من أيَّة أعمالٍ حربيَّةٍ حتّى نهاية عهد الأمير الحكم الربضيّ[(5)].

النَّتائج

وضع الأميرُ الحكم الربضيّ جهاد الفرنجة على رأس أولويّات إمارته، بهدف استرداد المدن الأندلسيَّة الشَّماليَّة التي سيطروا عليها، أو على الأقل المحافظة على الوضع الحدوديّ القائم، من خلال الوقوف في وجه التوسُّع الفرنجيّ والإسبانيّ على حساب الاراضي الإسلاميَّة، على الرَّغم من الأحوال الدّاخلية الأندلسيَّة المضطربة؛ النّاتجة عن الثَّورات والتَّمرُّدات في عهده، وما ترتَّب عليها من استنزافٍ لمقدَّرات إمارته.

أظهر البحثُ عُمْق التَّعاون والتَّشجيع المُتبادلين ما بين الفرنجة والإسبان من أجل مواصلة سياسة الاسترداد لتحقيق الأهداف المشتركة القاضية بطرد المسلمين من الأندلس، ومن ذلك تشجيع شارلمان لألفونسو الثّاني ملك مملكة أستورياس الإسبانيَّة على مهاجمة مدينة أشبونة (لشبونة) عام 182هـ/٧٩٨م، مستغلاً انشغال الحكم بثورة عمَّيْه عبد الله وسليمان.

من أخطر ما تمخَّضت عنه السِّياسة التَّوسُّعيَّة الفرنجيَّة تجاه الأندلس في عهد الحكم، تمكُّن قوّات شارلمان من السَّيطرة على مدينة برشلونة عام 185هـ/801م، وعجْز الأندلسيّين عن استردادها، على الرَّغم من المحاولات التي بُذلت من أجل ذلك من خلال الحملة التي أعقبت سقوطها، وكذلك حملة 197هـ/813م. فخسر المسلمون بسقوطها ثغراً من أهمِّ الثُّغور الاندلسيَّة الشَّماليَّة، ما عرَّض المناطق والمدن المجاورة لخطر الأطماع الفرنجيَّة والإسبانيَّة على حدٍّ سواء.

على الرَّغم من الظُّروف الدّاخليَّة الصَّعبة التي كانت تعاني منها دولة الأمير الحكم، إلا أنَّ ذلك لا يعفي الحكم وجيشه من المسؤوليَّة تجاه مدينة برشلونة، وبخاصَّةٍ أنَّ حصارها دام أكثر من سبعة شهور، فقد كان يملك الوقت الكافي للدِّفاع عنها. وفضلاً عن ذلك؛ فإنَّ الجيوش التي جرَّدها لتحرير المدينة والتي كبَّدت القوّات المسيحيَّة خسائر فادحة، لم تستثمر الانتصارات الميدانيَّة التي حقَّقتها، من خلال القيام باستعادة المدينة.

في الصِّراع مع الفرنجة في عهد الأمير الحكم برز دور عديدٍ من رجال الدَّولة الذين يُشار لهم بالبنان؛ بسبب دورهم في الوقوف ضدَّ المتمرّدين والفرنجة على حدٍّ سواء، وكان من أبرزهم: عبد الرَّحمن بن الحكم الربضيّ، ومعاوية بن هشام الرّضا، وفُطَيس بن سليمان، وأبناء عبد الواحد بن مغيث، وبخاصَّةٍ حاجب الحكم وقائد جيوشه عبد الكريم بن مغيث، فضلاً عن عبد الله البلنسيّ وابنه عبيد الله.

---

(1) ابن حيّان: (136-137)؛ ابن سعيد المغربي: 41/1؛ ابن عذاري: 74/2.

(2) **إدريس بن إدريس**: بن عبد الله الحسنيّ العلويّ، ثاني أمراء الأدارسة في بلاد المغرب الأقصى، وُلد عام 175هـ/791م، وبايعه البربر عام 187هـ/803م، وامتدَّ نفوذ دولته إلى تلمسان، وأسَّس مدينة القرويّين، وتوفّي عام 213هـ/828م ؛ يُنظَر: ابن الأبّار: 1/(53-54).

(3) ابن حيّان: 130.

(4) ابن عذاري: 73/2.

(5) السّامرّائي: 253؛ (Lacarra: I\56).

نجحت جيوش الأمير الحكم في التَّصدِّي لأطماع الملك شارلمان في الأراضي الواقعة جنوب برشلونة، وبخاصَّةٍ إلى مدينة طرطوشة، على يد القائد عبد الرَّحمن ابن الأمير، كما ساهمت في إنقاذ بعض المدن من السُّقوط النِّهائي، كتطيلة عام 187هـ/803م، بفضل جهود قائده عمروس بن يوسف، وطرَّكونة وجيرونة عام 195هـ/811م بفضل عبد الرَّحمن المذكور.

REFERENCES

1. **Abdel Halim**, Rajab: **Relations between Islamic Andalusia and Christian Spain in the era of the Umayyads and the Taifa kings**, (n. ed.), Egyptian Book House - Cairo, Lebanese Book House - Beirut, (n. d).
2. **Abu Al-Khail**, Muhammad: **Andalusia in the last quarter of the third century AH**, King Abdul Aziz Library Publications, Riyadh, 2002.
3. **Abu Mustafa**, Kamal: **The Muladi in the Andalusian region of the Upper Thaghr and their political role in the era of the Umayyad Emirate (138-316 AH/756-928 AD)**, Research in the History and Civilization of Andalusia in the Islamic Era, Alexandria Book Center, Alexandria, 1997, (pp. 45-116).
4. **Al-Darwish**, Jassim; **Al-Alaywi**, Hussein: **Barcelona between Islam and Christianity (94-664 AH/712-1269 AD)**, 1st ed., Tammuz Printing and Publishing, Damascus, 2017.
5. **Al-Hajji**, Abdul Rahman: **Andalusian history from the Islamic conquest until the fall of Granada 92-897 AH/711-1492 AD**, 2nd edi., Dar Al-Qalam, Damascus-Beirut, 1981.
6. **Al-Hamawi**, Yaqut bin Abdullah (d. 626 AH/1229 AD): **Mu'jam al-Buldan**, 5 parts, Dar Sader, Beirut, 1977.
7. **Al-Himyari**, Muhammad bin Abd al-Moneim (d. 900 AH/1495 AD): **Al-Rawd al-Me'tar fi Khabar al-Aqtar**, edited by: Ihsan Abbas, 2nd ed., Library of Lebanon, 1984.
8. **Al-Humaidi**, Abdullah bin Muhammad (d. 488 AH/195 AD): **Juthwat Al-Moqtabes fi Tarikh Olama' Al-Andalus**, edited by: Bashar Marouf and Muhammad Bashar, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st ed., Tunis, 2008.
9. **Al-Maqqari**, Ahmad bin Muhammad (d. 1041 AH/1632 AD): **Nafh Al-Teeb min Ghosn Al-Andalus Al-Rateeb**, 8 parts, (n. ed.), Dar Sader, Beirut, 1988.
10. **Al-Nuwairi**, Ahmed bin Abdul-Wahhab (733 AH/1333 AD): **Nihayat Al-Irab fi Fonun Al-Adab**, 32 parts, edited by: Abdul Majeed Tarhini, 1st edi., Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2004.
11. **Al-Odhari**, Ahmed bin Omar (d. 478 AH/1085 AD): **Texts about Al-Andalus**, edited by: Abdul Aziz Al-Ahwani, publications of the Institute of Islamic Studies (n. ed.), Madrid, (n. d.).
12. **Al-Samirrai**, Khalil: **Al-Thaghr Al-A'la Al-Andalusi, a study of its political conditions, 95-316 AH/714-928 AD**, Asaad Press, Baghdad, 1976.
13. **Al-Sheikh**, Muhammad: **The Frankish state and its relationship with the Umayyads in Andalusia**, University Culture Foundation, Alexandria, 1981.
14. **Al-Sufi**, Khaled: **The History of the Arabs in Andalusia, the Era of the Emirate**, 2nd ed., Qaryounis University, Benghazi, 1980.
15. **Al-Zuhairi**, Suhair; **Al-Alaywi**, Hussein: **Charlemagne's support for the internal rebellion of Abd al-Rahman's sons in the year 180 AH/796 AD**, Basra Research Journal for the Humanities, vol. 48, no. 1 (b), 2023, (pp. 441-448).
16. **Anan**, Muhammad Abdullah: **The State of Islam in Andalusia, the First Era, First Section, from the Conquest to the Beginning of the Era of Al-Nasser**, 4th ed., Al-Khanji Library, Cairo, 1977.
17. **Anonymous**: **Akhbar Majmu'a fi Fath al-Andalus**, 2nd ed., Dar al-Kitab al-Masry, Cairo, Dar al-Kitab al-Lubnabi, Beirut, 1989.
18. **Anonymous**: **The History of Andalusia**, edited by: Abdelkader Boubaya, 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 2007.
19. **Bermejo**, J.: **La primera década del reinado de al-Hakam I (796-806), según el Muqtabis de Ben Hayyan**, Anaquel de estudios árabes, 2001, (pp. 769-778).
20. **Conde**, J.: **A History of the Dominion of the Arabs in Spain**, trans.: Jonathan Foster, I, Goerge Bell, London, 1900.

21. **Gebhardt**, V.: **Historia General de Espana y de Sus Indias**, II, Libreria Espanola, Madrid; Libreria del Plus Ultra, Barcelona, 1864.
22. **Hatamla**, Muhammad: **Iberia before the coming of the Muslim Arabs**, Ministry of Culture, Amman, 1996.
23. **Ibn Adhari**, Muhammad (d. 695 AH/1296 AD): **Al-Bayan Al-Moghrib fi Akhbar Al-Andalus wa al-Maghrib**, vol. 2, edited by: C. Colan and Levy Provençal, 2nd ed., Dar Al-Thaqafa, Beirut, 1980.
24. **Ibn Al-Abbar**, Muhammad bin Abdullah (d. 658 AH/1260 AD): **Al-Hulla Al-Saira'**, two parts, edited by: Hussein Mu'nis, 2nd ed., Dar Al-Ma'arif, Cairo, 1985.
25. **Ibn Al-Atheer**, Ali bin Muhammad (d. 630 AH/1233 AD): **Al-Kamil fi Al-Tarikh**, (vol. 5), 1st ed., Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1987.
26. **Ibn Al-Faradi**, Abdullah bin Muhammad (d. 403 AH/1012 AD): **History of the Andalusian Scholars**, two parts, edited by: Bashar Awwad Ma'rouf, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1st ed., Tunis, 2008.
27. **Ibn Hayyan**, Hayyan (d. 469 AH/1077 AD): **The Book of Al-Muqtabas**, edited by: Mahmoud Ali Makki, 1st ed., King Faisal Center for Research and Islamic Studies, 2003.
28. **Ibn Khuldun**, Abd Al-Rahman (d. 808 AH/1406 AD): **The History of Ibn Khaldun**, 7 parts, edited by: Khalil Shehadeh and Suhail Zakkar, (n. e), Dar al-Fikr, Beirut, 2000.
29. **Ibn Saeed Al-Maghribi**, Ali bin Musa (d. 685 AH/1286 AD): **Al-Moghrib fi Hola Al-Maghrib**, edited by: Shawqi Dhaif, 4th ed., Dar Al-Maaref, Cairo, (n. d).
30. **Lacarra**, J.: **Historica politica del Navarra**, I,Pamplona: Editorial Aranzadi, 1972.
31. **Lafuente**, M.: **Historia general de España desde los tiempos más remotos hasta nuestros días**, II, *Establecimiento Tipográfico de Mellado*, Madrid, 1887.
32. **Lane-Poole**, S.: The story of the Moors in Spain, J. P. Putnam's Sons, New York, T. Fisher Unwin, London, 1898.
33. **Lhasan**, Mathar; **Emhammad**, Boucharit: **Musa bin Musa bin Fartoun bin Qasi and his political and military role during the era of the Umayyad emirate in Andalusia (138-316 AH/756-928 AD)**, Al-Ibar Journal for Historical and Archaeological Studies in North Africa, vol. 5, no. 1, 2022, (pp. 388-408).
34. **Mahmoud**, Mona: **Muslims in Andalusia and their relationship with the Franks (92-206 AH/714-815 AD)**, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 1986.
35. **Mansour**, Shahinda: **Sahib Al-Sawa'f, Ubaid Allah bin Abdullah Al-Balansi (180-238 AH/796-852 AD)**, Beni Suef University, Faculty of Arts, Egyptian Journal of Historical and Cultural Studies, Volume Five, No. (9), 2020, (pp. 58-81).
36. **Manuel** J.; **Rodriguez** G.: **Nace el Reino de Pamplona Sancho I Garcés de Pamplona "El Grande" en el Alto Medievo, Localización**: Revista del Centro de Estudios Merindad de Tudela, Nº. 18, 2010, pp. (123-139).
37. **Mariana**, J.: **Historia General de Espana**, Don Benito Cano, Madrid, 1794.
38. **Mu'nis**, Hussein: **Landmarks of the History of Morocco and Andalusia**, Dar Al-Rashad, 5th ed., Cairo, 2000.
39. **Na'nai**, Abd al-Majid: **History of the Umayyad State in Andalusia**, (n. ed.), Dar al-Nahda al-Arabiyya, Beirut, 1986.
40. **O'Callaghan**, J.: **A History of Medieval Spain**, Cornell University Press, Ithaca and London, 1975.
41. **Provençal**, Livy, **The History of Islamic Spain from the Conquest to the Fall of the Cordoban Caliphate (711-1031 AD)**, trans.: Emilio Gomez, Ali Al-Yahya and Ali Menoufi, 3rd ed., Supreme Council of Culture, Madrid, 2000.
42. **Wreglesworth**, J.: **The chronicle of Alfonson lll and its significance for the historiography of the Asturian kingdom 718-910 AD**. Ph.D thesis, University of Leeds, 1995.